الحروف الزراعية – خصائصها ودلالاتها – علاقة المرأة بها

الحلقة السابعة :

إن المرأة بحكم أمومتها الفطرية واضطلاعها بتربية الأطفال وتنشئتهم ، كانت على مر الزمن الأغزر عاطفة والأولع بفنون المداعبة والرقص والتمثيل .

كما أنها بحكم اضطلاعها بالشؤون المنزلية كانت الأبرع أيضاً في دنيا الصناعات اليدوية ومبتكراتها .

أمومة فطرية وتخصصات مهنية قد جعلا قسمات وجهها وأعضاءها الجسدية أكثر طواعية لارادتها .

وهكذا كانت المرأة الغابية في بواكير المرحلة الزراعية مؤهلة أكثر من الرجل الصياد لابداع الحركات الايمائية التمثيلية تعبيراً عن حاجاتها الحضارية المتسجدة ومعانيها المبتكرة . ولاشك في أن الكثير من تلك الحركات والأصوات المرافقة لها قد مات بفعل التطور فلم يبق منها إلا ما تحول إلى أصوات حروف . ولقد كان منها يقيناً أصول حروف (ف. ل. م. ث. ذ) واحتمالا حرفا (ش. خ) .

ولكننا حذر الاطالة سنقتصر هنا على ثلاثة منها : حرف (الفاء) للرابطة المهنية بينه وبين المرأة الزراعية ، وحرفا (الميم واللام) لكثرة دورانهما في حروف المعاني كما أسلفنا في الحلقة الثانية ، ولعلاقة معانيهما أيضاً بخصائص المرأة الفطرية ووظائفها المنزلية . فماذا عن هذه الحروف ؟ .

أولا : حرف الفاء :

1 – خصائصه ودلالاته:

بتأمل طريقة التلفظ بصوت هذا الحرف ، نجد أن الاسنان العليا هي التي تضرب على الشفة السفلى حبساً للنفس عند خروجه من جوف الصدر . ثم يبدأ صوته بشيء من – الخفيف عند احتكاك النفس بأطراف الاسنان العليا والشفة السفلى وبعثرته . وبانفراج الفكين عن بعضهما واسعاً ، يخرج صوته واضحاً مشبعاً .

وهكذا تتلخص الخصائص الايمائية التمثيلية لهذا الحرف ودلالاته في ثلاث :

أ – ضرب الاسنان العليا على الشفة السفلى ، يماثل ضربة عظم حيواني أبيض على أرض طرية مما يضاهي أحداث الحفر والقطع

والفصل في الطبيعة .

ب – بعثرة النفس مع بداية خروج صوته ، تضاهي أحداث البعثرة والتشتت في الطبيعة .

ج – انفراج الفكين عن بعضهما بعد خروج صوته يضاهي أحداث التوسع والانفراج والتباعد في الطبيعة .

2 – معانيه المعجمية :

بالرجوع إلى المعجم الوسيط عثرنا على (221) مصدراً جذراً تبدأ (بالفاء) كان منها (58) لمعاني الحفر والقطع والشق والفصل و (14) لمعاني البعثرة والتشتت والانتشار و (48) لمعاني التوسع والانفراج . وذلك بما يتوافق مع خصائصه الايمائية التمثيلية الثلاث عبر مراحل خروج صوته .

كما عثرنا على (21) مصدراً لمعاني الضعف والرقة والطراوة ، بما يتوافق مع صدى صوته الواهي في النفس لتتفوق بذلك خصائصه التمثيلية على الايحائية بستة أضعاف تقريباً ، مما يقطع بانتمائه إلى المرحلة الزراعية . تتمتع شخصيته بشيء من الشدة ، إذ بلغ تأثير خصائصه في معاني المصادر بنسبة (64،5) في المئة .

وما يثير الدهشة أننا لم نعثر على أي مصدر جذر يبدأ بالفاء مما يدل معناه على الالتصاق لتعارضه مع خصائصه الايمائية التمثيلية ودلالاتها في الشق والفصل والتوسع .

3 – علاقته بالمرأة :

لما كانت المرأة هي صانعة المرحلة الزراعية كما أسلفنا ، تحفر الأرض الطرية بعظم حيواني أبيض ، فمن البداهة أن تعبر هي ابتداء وليس الرجل عن هذا الحادث المهني ، بالحركات الايمائية التمثيلية أصول حرف (الفاء) ، على وجه ما بينا آنفا .

ولقد أفاد الانسان العربي من طريقة التلفظ بصوته ، فأبدع المزيد من المصادر الجذور التي تبدأ به تعبيراً عن المعاني التي تتعلق بالحياة الزراعية مثال : (فأس الخشبة (شقها) ، فأى . فتق . فجر . فجو . أفرخت البيضة (انفلقت عن الفرخ) . فرخ . فسق كل ذي قشر (خرج عن قشرة) فسل . فصم . فصل . فصى . نظم . فطر ، فقح فغا . فقس . فقش . فقص . فق فلج . فلح . فلق ...) وما إليها من الأحداث التي تتعلق بشؤون النبات في المرحلة الزراعية .

أما المصادر التي تتعلق معانيها بالحياة الرعوية المشردة ، فقد اقتصرت على ستة ، هي (الفحل – القدام) . الفرأ (حمار الوحش) . الغلاة . (الفهد . الفيف) .

وهذه الظاهرة من التخصص الزراعي نلحظها في حرف (اللام) أيضاً . فلم نعثر إلا على مصدر واحد يبدأ به مما يتعلق معناه بالحياة البدوية هو : (لاه السراب) اضطرب وبرق .

وذلك على العكس حرف (العين) الرعوي فلقد كثرت المصادر التي تبدأ به مما يتعلق معناه بالحياة الرعوية من أسماء الابل والأسد والأصوات وما يوجد في البوادي من وحوش وحشرات ونبات ، وما إلى ذلك من معاني الشدة والصلابة والفعالية والفخامة التي تتصف بها الحياة البدوية . ولم نعثر فيها على أي مصدر يتعلق معناه صراحة بالحياة الزراعية .

ثانيا : حرف الميم :

1 – خصائصه ودلالاته :

يبدأ صوته بانطباق الشفتين على بعضهما البعض في ضمة متأنية حبساً للنفس .

وبانفراجهما يخرج النفس ويستكمل الصوت شروطه من الوضوح والأشباع . وبذلك تتلخص خصائصه الايمائية التمثيلية ودلالاتها في ثلاث :

أ – انطباق الشفة على الشفة يضاهي الأحداث التي يتم فيها الضم والجمع والانفلاق .

ب – ضم الشفة على الشفة بشيء من الشدة والتأني ، قبيل خروج صوته يضاهي الأحداث التي يتم فيها المص والرضاع بالشفتين .

ج – انفراج الشفتين عن بعضهما أثناء خروج صوته (ما) يضاهي الأحداث التي يتم فيها التوسع والامتداد .

2 – معانيه المعجمية :

بالرجوع إلى المعجم الوسيط عثرنا على (253) مصدراً جذراً تبدأ به . كان منها (33) لمعاني المص والرضاع والحلب واستخراج ما في الأشياء المجوفة ، (22) لمعاني الجمع والضم والكسب والغضم والمضغ و (24) لمعاني التوسع والامتداد والانفتاح . وذلك بما يتوافق مع الخصائص التمثيلية الثلاث التي ترافق مراحل خروج صوته . كما كان منها (45) مصدراً لمعاني المرونة والرقة بما يتوافق مع موحيات صوته ، مما يؤكد صحة انتمائه إلى المرحلة الزراعية وحروفها الايمائية .

شخصيته متوسطة الشدة ، إذ بلغ تأثير خصائصه في معاني المصادر (50%) فقط .

ومما يثير الدهشة ، أننا لم نعثر على أي مصدر منها يدل معناه على السد والانغلاق بينما كان هناك (15) مصدراً تنتهي بالميم لهذه المعاني . وذلك يعود إلى أن الشفتين والفكين يستقران في انطباقهما على بعضهما عند التلفظ بصوته في نهاية المصادر ، فلا تنفرجان ، على العكس من حالهما في المصادر التي تبدأ به .

وذلك على مثال ما نلحظ وجود (17) مصدراً جذراً تبدأ بحرف (الثاء) لمعاني الشق والانفراج والسيلان ، ولا شيء منها للمصادر التي تنتهي به . نهج أصيل قد استقر عليه الانسان العربي في تعامله مع حروفه . ومعانيها .؛

3 – علاقته بالمرأة الأم :

إن خاصية المص هي أبرز الخصائص الايمائية التمثيلية لهذا الحرف ولما كانت المرأة الأم هي المعنية أصلاً بإرضاع الطفل فمما لاشك فيه أنها هي وليس الرجل التي أبدعت أصول هذا الحرف ، بشد الشفة على الشفة في صوت (ما) المشددة ، للتعبير عن واقعة مص الطفل ثدي أمه . ثم تطور معنى (ما) إلى معنى الأم ، أمرضعاً كانت أم غير مرضع وفي مرحلة أمانة الحروف الجوفية ، طور العربي لفظة (ما) إلى (ام) ، بإبدال الهمزة الصامتة في أولها بالألف اللينة الصائتة في آخرها . ولفظة (ماما) في لهجاتنا العامية ما هي إلا الارومة التاريخية لكلمة (أم) المعاصرة .

ويبدو لي أن الشعوب الغربية قد اقتبست هذه الكلمة عن اللغة العربية . فلفظة (ماما) موجودة أيضاً في معظم لهجاتها المحلية . كما أن الكلمة التي تدل على معنى (الأم) في معظم لغاتهم تبدأ بحرف (الميم) من الألفاظ الدالة على رضاع الطفل ثدي أمه .

((مرثه . مرزه . ملجه . ملق الصبي أمه (رضعها) ...)).

ومنها ما يدل على رضاع الفصيل من الابل ضرع أمه .

(معجه – مغده – مقعه – مقمقة – مقاه مقواً) .

ثالثا : حرف اللام :

1 – خصائصه ودلالاته :

يبدأ خروج صوته بانطباق طرف اللسان على سقف الحنك قريباً من اللثة العليا حبساً للنفس ، ويتم بانفصالهما عن بعضهما البعض . وبذلك تقتصر خصائصه التمثيلية على اثنتين فقط .

أ – التصاق طرف اللسان بسقف الحنك ، يضاهي الأحداث التي يتم فيها الالتصاق والتماسك .

ب – تلاعب طرف اللسان بصوت الحرف ، يضاهي تلاعبه باللقمة عند نصفها .

2 – معانيه المعجمية :

عثرنا في المعجم الوسيط على (212) مصدراً جذراً تبدأ بهذا الحرف . كان منها (82) لمعاني الالتصاق والتماسك ، و (53) لمعان تتعلق بعمليات التذوق والأكل واللحس والأطعمة ، وما إليها ، بما يتوافق مع خصائصه الايمائية التمثيلية عبر مرحلتي خروج صوته . وكان منها (5) مصادر فقط لمعاني المرونة والليونة والتماسك ، يتوافق مع إيحاءاته الصوتية مما يقطع بعراقته الايمائية .

تتمتع شخصيته بشيء من الفتوة ، إذ بلغت نسبة تأثير خصائصه في معاني المصادر التي تبدأ به (65%) .

وعلى الرغم من خاصية الالتصاق الرئيسية في حرف (اللام) فإن علماء اللغة العربية وفقهاءها قد حرموه منها ظلماً وتجنياً في حروف المعاني ، وأسندوها تحيزا ومحاباة إلى حرف (الباء) بلا سند فقهي مقبول . ولنا عودة إلى هذا الخطأ في الحديث عن معاني حروف المعاني .

ومما يثير الدهشة أيضاً ، أننا لم نعثر على أي مصدر يبدأ به تدل معانيه على الانفراج أو الشق أو التوسع ، وذلك لتعارض هذه الأحداث مع خصائصه الايمائية التمثيلية ودلالاتها في الالتصاق ، على العكس مما لحظناه في حرف (الفاء) .

3 – علاقته بالمرأة الطاهية :

لما كانت شؤون التغذية أكثر التصاقاً بفطرة المرأة ووظائفها المنزلية ، فلقد كانت هي المندبة أصلاً للتعبير عن معانيها بحركة لسانية تضاهي حوادث الأكل واللوك واللحس وما إليها .

ولقد أفاد العربي عبر تطوره الحضاري واللغوي من خاصية تلاعب اللسان بصوت (اللام) على مثال تلاعبه باللقمة فأبدع المزيد من المصادر الجذور التي تتعلق معانيها بمؤسسة التغذية . منها :

(لحس – لسّ – لسد العسل ولحسه – لطع – لعص – لصق – لقم – لمج – تلمظ – لاس – لاك – لاق الطعام – اللسان – اللعاب – اللغمط – اللبن – اللغفة – اللحاك – اللوقة ...الخ .) .

ولئن كانت المصادر التي تدل معانيها على الالتصاق أكثر من المصادر التي تتعلق معانيها بشؤون التغذية ، إلا أن هذه الأخيرة هي الأصل الفطري في معاني (اللام) . فمعاني الالتصاق الحضارية قد تكون مصادرها جميعاً من مبدعات الرجل في المرحلة الرعوية ، أما معاني الأكل ومتعلقاته ، فهي ألصق

بفطرة المرأة . والفطري هو بداهة أعرق في القدم من الحضاري . وهكذا كانت المرأة أولى بحرف (اللام) من الرجل .

رابعا : ولكن ماذا عن بقية الحروف الايمائية التمثيلية :

حذر الاطالة سأقتصره على الحديث في لمح عن علاقة المرأة العربية بهذه الحروف في المرحلة الزراعية .

1 – حرفا (الذال والثاء) :

إن المرأة بحكم أمومتها الفطرية كانت هي المندبة أصلاً للتعبير إيماء عن جنسي الذكورة والأنوثة ، فأبدعت أصول هذين الحرفين . ثم تهذب النطق بهما في مرحلة رعوية لاحقة فصارا إلى (الذال والثاء) المعاصرين بلثغة لسانية ملحوظة تتوافر في صوت كل منهما خصائص الجنس الذي يمثله .

2 – حرف (الشين) :

وبحكم اضطلاع المرأة بالأمور المنزلية ، كانت هي المندبة لابداع أصول هذا الحرف إيماء بكشرة واسعة عن الأسنان مع مط الشفتين إلى الامام أثناء تدافع النفس وبعثرته ، وذلك للتعبير عن معاني التفاهة والخلط والبعثرة والتشتت والجمع العشوائي والانتشار ، وما إليها من متعلقات الأمور المنزلية ، مما نلحظه في معانيه (56) مصدراً تبدأ به و (85) مصدراً تنتهي به .

3 – حرف (الخاء) :

ولما كانت المرأة في المرحلة الزراعية هي المعنية باستئناس الحيوان وتربيته فلقد كانت هي أيضاً المندبة للتعبير عن معاني القذارة التي تعترض حياتها اليومية . فأبدعت أصول هذا الحرف (ايماء) بكشرة موسعة و(إيحاء) بصوت ظاهر الخنخنة ، تعبيراً عفوياً عن الاشمئزاز والتقزز . ثم استثمر الانسان العربي هذه الخصائص في مراحل لغوية متطورة للتعبير عن معاني القذارة والفحش والأمراض والعيوب العقلية والنفسية والجسدية والاضطراب والتفاهة وما إليها في (146) مصدراً تبدأ به ، و (43) مصدراً تنتهي به و(28) مصدراً يتوسطها . فكان حرف (الخاء) بذلك حاوية القمامة في بنيان اللغة العربية الشاعري الأنيق . لا يغير من مهمته هذه إن سقطت سهواً في هذه الحاوية بعض اللآلىء والدرر (خير – خصب – خضرة – خليل – خفر .) .

خامسا : القيمة العلمية للحروف الايمائية التمثيلية :

لما كنا لانزال نحيا لغوياً في العصر الجاهلي ، فإن الكشف عن الخصائص الايحائية للحروف العربية كما نوهنا في الحلقات السابقة ، لا يضيف أي عمق حضاري آخر إلى تراثنا اللغوي .

ولما كان علماء اللغة العربية وفقهاؤها القائلون بفطرة اللغة العربية قد بهرتهم هذه الظاهرة الايحائية في أصوات الحروف العربية ، فقد توقفوا مدهوشين عندها ، ولم يبحث أحد منهم بجدية عن الخصائص الايمائية التمثيلية في الحروف العربية . وفاتهم بذلك أن ينقبوا عميقاً عند جذورها الغابية والزراعية .

وهكذا فالاهتداء إلى الخصائص الايمائية التمثيلية لهذه المستحاثات من الحروف العربية ، يكشف لنا عن مراحل تطور اللغة العربية ، بدءاً من الغابي فالزراعي فالرعوي حتى العصور الجاهلية .

وهذا الاكتشاف لايقل أهمية في دنيا اللغات عالمياً عن اكتشاف إنسان (أوستراليا) وغيره من المستحاثات البشرية بمعرض البحث عن تطور الانسان على وجهي الأرض والتاريخ منذ ملايين الأعوام .

فماذا عن المرحلة الرعوية وحروفها ؟...